قواعد أساسية لعمارة جديدة

شيمون بيريز

الخياران اللذان نواجههما جميعا . نحن أهل الشرق الأوسط جميعا . عرباً ويهوداً واضحا المعالم : هل نسمح للمشكلة الفلسطينية بزج المنطقة بكاملها نحو حرب أخرى ؟
أو أن نسعى نحو تنظيم اقليمى لتسوية المشكلة الفلسطينية :

ينشر هذا المقال فى نفس اليوم مع صحيفى جيرو سالم بوست وعل همشمار . .

إن الخيار الأول معناه : حرب أخرى . بينما الخيار الثانى يفتح بابا للسلام .

وأعتقد أن الرئيس السادات قد أحسن عملا لادراكه ذلك الخيار الثانى حين قام بوصفه رئيساً لأكبر بلد فى المنطقة بمبادرته التاريخية نحو تسوية الخلافات بالوسائل السلمية .

لقد كانت مصر دائما وأبداً الشقيق الأكبر فى عائلة شعوب منطقة الشرق الأوسط . وكان لذلك أثره الدائم على دول المنطقة – وأظن أن الماضى والمستقبل يؤكدان ذلك . لقد خضنا أربع حروب . ولكل منها نهاية عسكرية واضحة . . ولو أنه لم تنته أى منها بحل للمشكلة التى من أجلها خاضت الجيوش معاركها .

إن حروب ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ انتهت فقط بزيادة عدد الضحايا والخسائر فى الأرواح والممتلكات وزاد عدد اللاجئين . وعمقت شعور العداء والمرارة . ولم تأت بحل دائم . إنما العكس هو الصحيح : لقد فتحت الحروب بابا للتسلل السوفيتى وأيقظت القوى المتطرفة ونتج عنها التخلف الاجتماعى والجمود الاقتصادى .

إنه من السذاجة أن يتكلم المرء عن أسباب الحروب بينما يغمض العين عن نتائجها .

إن الجبهات العسكرية ستأتى دائما بمكاسبها على القوى العظمى سواء من خلال بيعها للسلاح أو صراعها من أجل هيبتها دون أن تهتم بالأضرار التى تحل بأهل المنطقة أو تعوق تطورهم الاجتماعى والاقتصادى !

وكان من الخطأ احتواء الصراع بالعباءة الفلسطينية اذ أن اعتباره إقليميا يحمل فى طياته أملا فى حل القضية الفلسطينية بالطرق السلمية . إن رؤية الصراع كإقليمى تأخذ فى الحسبان بصورة عامة واقع المشاكل (الشرق أوسطية) الناجمة عن عوامل جغرافية وتاريخية ومن هذه العوامل الصحراء والجبال والبحار والمناخ . وكل هذه العوامل ساهمت فى تفريق شعوب المنطقة وفى اجهاض تطويرها السريع . وكان غياب التعاون الاقليمى سببا فى زيادة حدة العوامل الجغرافية والفرقة والعداء .

وما فهمته من خلال محادثاتى مع الرئيس السادات هو أنه لبشاركنا فى الرغبة بالتطوع معاً لخوض جهد صادق وتاريخى من أجل التغلب على تلك العوامل : تحويل الصحارى إلى حقول وربط الجبال بطرق تمكن ابناء الشعوب وزوارهم بفتح أبواب التصنيع والبحث والسياحة . وتطهير شواطىء البحار وفتحها أمام حركة حرة لا اضطرابات بها . واخضاع المناخ القاسى لما يتجه الإنسان . والوقوف صفا واحدا فى وجه أى تسلل أجنبى من خلال جلولنا المشتركة فى الشرق الأوسط وأن نستبدل بالتعصب الأعمى صلات تربوية واعية ومتسامحة .

واذا كانت طبيعة الشرق الأوسط صعبة – فقد يرى أهله بكثير من التصور والمقدرة تأقلمت المنطقة من خلالها عبر التاريخ فى الحاجاتها العقلية والروحية . والقصد من التعاون الاقليمى هو بالمعنى التاريخى : اعادة سيادة العقل على الصعوبات الجمة التى ابتلانا بها الماضى وطبيعة المنطقة . إننى أؤمن بامكانية كهذه . وإننى أؤمن بامكانية ايجاد حل مرض للمشكلة الأعمق التى يعانى منها ابناء الشعب الفلسطينى . وفى إطار ثقة محددة وتعاون بعيد المدى يمكن النظر لهذه المشكلة دون رؤيتها وكأن حملها من التشكك والعداء اقل . اقل جدا .

وأنا أعلم بأننا لا نستطيع التغلب على مثل ذلك الحمل خلال يوم واحد . اذ أن الشرخ القائم فى الشرق الأوسط ما بين جبهة الرفض وجبهة الحوار يدعونا للتقدم نحو الهدف بصبر وتحلول ذات مراحل من ناحية كيف وابن لنا وجهة نظر اسرائيلية لحل المشكلة الفلسطينية .

من أجل حل القضية الفلسطينية علينا أن نسأل أين هم الفلسطينيون ؟

والجواب : نصف ابناء الشعب الفلسطينى تقريبا موجود فى الأردن . وهذا بشكل الأغلبية الساحقة هناك .

وجدير بالذكر أن الأردن نفسه كان جزءاً من فلسطين فى الماضى القريب .

وهناك نحو سبعمائة الف فلسطينى آخرين يقطنون يهوذا والسامرة ومائة الف يعيشون فى القدس . ونحو أربعمائة وخمسين ألفا يسكنون قطاع غزة . وما يقارب الستمائة الف مواطن فى اسرائيل ونحو مائتى ألف أو ثلاثمائة الف هم بمثابة لاجئين فى لبنان .

علينا أن ننظر للمشكلة وحلولها نظرة عامة وخاصة . وكل حلول الوسط يجب أن تبدأ من نقطة العدد التنازلى نحو الحل الشامل . ولذلك علينا أن نقرر أولا شكل الحل الشامل . وما سيشمل ذلك حلا أو حلين أو ثلاثة حلول ؟

وحل واحد معناه اطار سياسى واحد . جيش واحد وعلم واحد . فمثلا إذا قامت دولة فلسطينية بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية بجانب الدولة الأردنية . فان عهد عرفات بالتسلط على الأردن (كما جاء فى الميثاق الفلسطينى) سيشكل مصدرا لاعمال عسكرية وعنصر إرهاب وتوتر دائمين فى الشرق الأوسط . وعندها سيرد الملك حسين بالمثل . كما ستجد اسرائيل نفسها متورطة إذا شاءت أو لم تشأ فى توتر دائم كهذا .

إن دولة فلسطينية ذات جيش له أهداف عدوانية . معناها الخطر الدائم للجبهة الشرقية وأيضا للجبهة الغربية . وقد يشك المرء بمقدرة مثل تلك الدولة على توسيع مبدأ الطاعة أو على منع تورطها فى نزاعات داخلية للوح بها فئات مسلحة

شيمون بيريز زعيم حزب العمل الإسرائيلى

في اتفاقيات كامب ديفيد يمكن تطبيق مشروع الحكم الذاتي كاملة ودون أخير لفترة من الزمن.

متصارعة منذ الآن . إذ ستطاير قذائف الكاتيوشا في كل اتجاه وسيكفل الرد عليها تصعيدا لأعمال عسكرية دائمة في المنطقة كلها.

وكل من لديه استعداد لرؤية المنطقة برمتها وحل المشكلة الفلسطينية بصورة مرضية فعليه بالرغم من كل الصعاب أن يبحث ليس فقط عن حل شامل للقضية الفلسطينية إنما عن حل واحد لمشكلة لا يمكن تجزئتها لأنه لا حل جزئياً لمشكلة لا تقبل التجزئة . وعلى ذلك فإن اسرائيل ترى بوجوب النظر في إطار الاردن فلسطيني يأخذ بالحسبان الثلاثة الملايين فلسطيني وأكثر الفلسطينيين حاليا في الأردن والضفة الغربية وغزة .

وإذا انطفأ على رؤية كهذه ، فسيكون بالامكان الاتجاه نحو وضع احجار الزوايا لبناء سياسي في إطار الشروط والاتفاقات المعمول بها اليوم في الشرق الأوسط .

والحجرُ الاول يمكن أن يكون قطاع غزة حيث يمكن فيه تطبيق مشروع الحكم الذاتي كاملا ودون تأخير لفترة من الزمن ، كما جاء في اتفاقيات كامب دافيد . وفي نهاية تلك الفترة يمكن البحث معا مع أهل غزة عن وسائل الربط ما بين القطاع وبين الإقليم – الأردن – الفلسطيني .

أما الحجر الثاني فقد يأتي عن طريق دعوة الحكومة الأردنية للتفاوض معها في موضوع حل المشكلة الفلسطينية على أساس قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ – وهو القرار الذي تبنته كل من مصر والأردن واسرائيل .

قد لا تتمخض المفاوضات مع الأردن في قفزة واحدة عن اتفاق شامل ودائم بشأن مناطق الضفة والقطاع . وفي تلك الحالة يتوجب علينا بحث حلول مرحلية كما كان الحال بيننا وبين مصر إلى أن توصلنا لتسوية سلمية دائمة . إن الصعوبة في الوصول لحل دائم مرة واحدة كانت قد عرفت بصورة ملموسة في إحدى الوثائق التي أبرزها الوفد المصري في كامب دافيد . وكان قد جاء في ذلك النص ما يلي : «

(نحن على يقين بأننا لا نواجه فقط مشكلة توقعات مصر فحسب بل مشكلة أمن اسرائيل أيضاً ونعتقد اسرائيل بأنها ستجبت دون مبرر مرتين مرة سنة ١٩٤٨ وأخرى ١٩٦٧ من قبل الجيش الاردني وهي مقتنعة بأن عليها تجنب كشف نفسها لتكرار مثل تلك الأخطار)

ورغم تناقضات النص المصري فإن أوس بامكانية تقريب وجهات النظر في مفاوضات سريعة وموضوعية .

ولا يستبعد أن تتمخض المفاوضات عن حلول لا تدور في خلد أحد اليوم .

أما الحجر الثالث في بنيان السلام فيمكن أن يأتي عن سياسة اسرائيلية مناسبة في المناطق . تتوازى مع تشجيع قيام زعامة محلية في تلك المناطق عن طريق انتخابات حرة حتى ولو اقتصرت على انتخابات بلدية .

ولا مانع من انسحاب الحكم العسكري ليزيل مكانه لسلطة حكم ذاتي كما جاء في اتفاقيات كامب دافيد .

ثم الحجر الرابع في ذلك البنيان يجب أن يأتي عن طريق حل مشكلة اللاجئين في لبنان لأن ذلك سيعني لبنان من القضية التي أنّت بهذا البلد ويمكن اللاجئين من العودة لأطر – أردن فلسطيني من أن يشيدوا بيوتاً دائمة لهم .

وأظن أنه من الممكن وضع مثل ذلك الحجر ثانية فقط من خلال الحل الأردني – الفلسطيني إذ أن عكس ذلك وهو قيام دولتين فقد لا يلزم أكبرهما وهو الأردن باستيعاب اللاجئين بينما ترغب صغراهما باستيعابهم دون أن يكون لديها ما يكفي من المساحة لاستكانهم . ومثل جميع دول المنطقة ستكون اسرائيل مستعدة لقد يد العون بطرق مختلفة لوضع مثل حجر الزاوية هذا .

أما الحجر الخامس في إطار الحل المقترح فهو : القدس .

وهناك ما نتفق عليه وما نختلف عليه مع مصر بالنسبة للقضية القدس . فمصر تتفق معنا بوجوب بقاء القدس مدينة موحدة . وتتفق معنا بوجوب ممارسة الطقوس الدينية في ظل الاحترام لحقوق كل من الطوائف المعنية (وهنا يجب ألا ننسى أن القدس هي مدينة مقدسة ليس لليهود أو المسلمين فقط بل وللمسيحيين أيضاً) .

ولكن مصر تطالب بتجزئة السيادة في المدينة وهذا ما لا تستطيع اسرائيل الموافقة عليه .

وفي رأيي يجب أن نلتزم بالمبدأين المتفق عليهما – وهما وحدة المدينة وحرية الصلة بالأماكن المقدسة ووضع تلك الأماكن تحت رقابة طوائفها الادارية بعد ترميمها وإكبارها بالشعارات المطلوبة لاثبات مدى الاتفاق حول موضوع القدس.

بعد وضع احجار الزاوايا الخمس يمكن أن تتوجه نحو القمة البنيان بأسره .

لقد تطلب القمة وقتا طويلا والسؤال هو : أليس من الأفضل أن نبني صرح السلام بالتأني حتى لا نسقط ضحايا طرب أخرى كنتيجة لتفاد الصبر ؟ عند حل المشكلة الفلسطينية نستطيع أن نكرس أنفسنا للهدف الرئيسي للسياسة التي بادر بها السادات والتي نشاركه الرأي فيها ، وهي تحويل الشرق الأوسط لمنطقة لا تقل عن أوروبا وحتى عن الولايات المتحدة تطورا اقتصاديا وعلميا واجتماعيا . منطقة تنعم بتعاون شعوبها المستقلة بالرغم من اختلافاتها في الدين واللغة كما هو الحال في أوروبا حيث السوق المشتركة والحدود المفتوحة والثقافة المزدهرة .

إن انتسابنا لشعوب عريقة التراث يجب الا يمنعنا من بحث التعاون الإقليمي بيننا . إن منطقة الشرق الأوسط بدون نزاعات لن تكون مرة ثانية : مرعى للقطعان أجنبية وكلنا معا نستطيع أن نكرس قوانا البشرية ذات الخلفيات الحضارية العريقة من أجل خدمة الأجيال القادمة من أبناء الشعوب العربية واليهودية وشعوب أخرى في المنطقة .

والمفتاح لهذا كله هو تعاون ثنائي وليس فقط سياسياً بين مصر واسرائيل – تعاون بين السياسيين والمثقفين والفنيين والمزارعين والعمال . لقد أعطى الضوء الأخضر .

ورجائي ألا تنسينا الصعاب التي نواجهها والا نسقط ضحايا للشكوك البالغ فيها . أو للأقاويل المنتشرة . أو لعداوات الماضي . لقد تقابلنا كبشر وفوجئنا عندما وجد أحدنا لدى الآخر رغبة في ارساء دعائم الحضارة فوق اسرائيجيات الأمس .

هذه أيام تدعونا لاتخاذ قرارات عظيمة ورؤية شاملة . لسنا أبناء شعوب متجولة . لقد ولدنا بين أحضان الأنبياء . وهذا مصدر قوتنا لأمس وسيكون مصدرها غدا . □